

الطفولة في الفن القصصي العربي الحديث Childhood in Modern Arabic Fiction

د. سيد ضياء الحسين

مدير مركز اللغة العربية والدراسات الإسلامية، سيالكوت، باكستان

عاصمة سعيد

باحثة الدكتوراه الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد، باكستان

Abstract

Fiction is an important form of modern Arabic Literature. It is the most influential writing style in twentieth century which played a vital role in addressing and solving the difficulties and problems of current society.

Many writers used this art of writing to highlight the challenges of childhood of this century. Quran and Sunnah also emphasise the educating, training and caring of rising children. Modern writers used different arts and literary devices to focus this issue. This article presents the different aspects of childhood and guidelines for children in the light of Quran, Sunnah and modern Arabic literature; novels, short stories and fictions.

Key Words: Childhood, Fiction, Novels, Short Stories, Challenges.

قد ورد لفظ "الطفّل" في كثير من آيات الدّكر الحكيم، سواء ورد باللفظ نفسه أو بألفاظ أخرى تدل عليه مثل: الولد، اليتيم، الصّبي، البنين، الذرية، تحثّ هذه الآيات كلّها على أهمية الطفل في حياة الوالدين وكذا في بناء المجتمع، ووجوب رعايته والاهتمام به، وحفظ حقوقه، لا كما يرى الغربيون والعلمانيون "أنّ الطفولة - كما يدعون- لم تلق الرّعاية إلّا بعد الإعلان عن ميثاق الطفولة في الأمم المتّحدة وهو ادّعاء ينقصه الدليل، بل افتراء على الحقيقة والواقع، وتجاهل للإسلام والمسلمين فإذا كان إعلان الأمم المتّحدة لحقوق الطفل في 1959/11/20م، فإنّ الإسلام أعلن هذه الحقوق وأقرّها بنظرة شاملة، وقبل أربعة عشر قرنا من الآن، ونظر إلى الطفل نظرة شاملة قبل أي حضارة أو أمم أخرى ولذلك يسعد الأطفال في العالم، كما سعدوا في ظلّ الحضارة الإسلاميّة، لأنّ عناية الإسلام بالنّشأة الأولى تفوق كلّ عناية، باعتبارها حجر الزاوية في بناء المجتمع الإسلامي.

مفهوم الطفولة:

أ- لغة: ورد في المعجم الوسيط، أنّ الطفولة تعني "المرحلة من الميلاد إلى البلوغ"⁽¹⁾. وتطلق كلمة "الطفّل" في المعاجم اللّغوية على الصغير من كلّ شيء، إذ جاء في المنجد في اللّغة والأعلام، الطّفّل: "ج أطفال"، مفرد طفلة: الصّغير من كلّ شيء، يقال: "جارية طفل وطفلة، وقد يكون الطّفّل واحدا وجمعا لأنه اسم جنس"⁽²⁾ وورد في معجم علم النفس والتربية أنّ الطّفّل: "الفرد من نهاية الرضاعة حتى البلوغ"⁽³⁾.

وجاء في لسان العرب مادة (طفل) "الطفّل والطفلة: الصغيران، والطفّل: الصّغير من كلّ شيء بين، قال أبو الهيثم: الصّبي يدعى طفلا حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم"⁽⁴⁾ فلفظ "الطفل" و"الصبي": "لفظان مترادفان تقريبا في اللّغة"⁽⁵⁾ لذلك يقال: "رأيت في صباه أي في صغره، وقال غيره: رأيت في صباه أي في صغره"⁽⁶⁾.

وإذا عدنا إلى القرآن الكريم نجد مفهوم الطفل يبدأ منذ ولادة الصبي إلى أن يحتلم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن نُّرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْقَةٍ لُّمِّنْ عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَعَجِيرٍ مُّخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنُفِّرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِنَبْلُغُنَّ أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿7﴾ وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (8) ونلاحظ أنّ معنى الطفل في المعاجم يلتقي مع المعنى القرآني، فهو منذ أن يولد الصبي حتى يبلغ الحلم.

ب- اصطلاحاً: لا يختلف المفهوم الاصطلاحي للطفولة عن مفهومها اللغوي، إذ تعني "الفترة العمرية التي تبدأ من لحظة الولادة، وتمتد من لحظة الولادة حتى سن الثامنة عشر. وأحياناً إلى مرحلة العشرين" (9) فالأطفال هم الفئة التي تمتد أعمارهم منذ الميلاد حتى سن الاعتماد الكامل على الذات، "ويحدّد القانون المصري سن انتهاء مرحلة الطفولة بسن الثامنة عشر، أما البداية فمنذ الولادة" (10)

2- الطفولة في القرآن والحديث:

اعتنى الإسلام - وهو المنهج الكامل المتكامل للحياة - بالطفل عناية كبيرة، "امتدّت هذه العناية من المرحلة المبكرة مرحلة الاستعداد، بل وقبل ولادة الطفل إلى أن يصبح رجلاً". (11) فقد أوصى رسول الله عليه الصلوة والسلام باختيار المنبت الحسن للطفل قبل ولادته.

كما اهتمّ الدين الإسلامي برعاية الطفل وحضانه، وكفل حقوقه - على الوالدين والإخوة والأقارب - وضمن له التربية الصالحة، ففي حضانه قال الله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِيْمَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنِ

تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَزِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٢﴾

وقد كفل الله سبحانه وتعالى لليتيم (13) حقه وأوصى به خيرا، قال تعالى: ﴿وَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (14)

وقضى الإسلام على تلك النظرة الجاهلية السيئة التي كان ينظر بها الآباء إلى بناتهم - وأد البنات - في الجاهلية، والتي كانت "مرتبطة ارتباطا وثيقا بمرص العرب من وقوع النساء سبايا في أيدي الأعداء، وهو أمر يسبب للقبائل المسيبية نساؤها عارا لا يفارقها". (15) قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (16) والسبب في تحرج الرجل من البنت، واحتقار المجتمع الجاهلي لها هو أنّ الآباء يفضلون الذكر الذي يحمل السيف دفاعا عن القبيلة، أما البنت فليست كذلك، وكذا ضعف الإيمان، والجهل بأنّ الله هو المدبّر، وأمره الغالب في شأن الإناث وشأن الذكور، قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (17)

ومما يروى في هذا الشأن أنّه "ولدت لأعرابي جارية اسمها حمزة، فهجر أمّها وبنته، فسمع أمها ترقصها وتقول:

ما لأبي حمزة لا يأتينا غضبان أن لا نلد البنينا

وإتما يكره ما أعطينا

فرجع إلى منزله وصالحها، وطابت نفسه بها" (18) ورجوعه كان بعد أن

أعطته زوجه درسا في الإيمان والرضا، وثبات اليقين، فرضي بما قسمه الله له.

وعن وجوب رعاية الابن والعطف عليه يقول رسول الله عليه الصلوة

والسلام "من لم يرحم صغيرنا ويعرف حقَّ كبيرنا فليس منا" (19) ويقول صلى الله عليه وسلّم أيضا: "أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم" (20) لأنّ الولد قد يكون سببا في دخول الآباء والأمهات الجنة قال عليه الصلاة والسلام: "ريح الولد من ريح الجنة" (21).

ولم تنحصر عناية الإسلام بالطفولة في التشريعات والنصوص والقوانين الوضعية فقط، كما تفعل المدنية المعاصرة، بل وجدت تطبيقات وممارسات بدأها رسول الله صلى الله عليه وسلّم، "وهو القدوة والأسوة للبشرية جمعاء، فقد كان عليه الصلاة والسلام يلاطف الصغار ويلعب معهم رغم كثرة همومه ومشاغله" (22) كان يقول للطفل الصّغير وهو يداعبه ويسأله عن عصفوره: "أبا عمير ما فعل النّغير" (23) (24) فهل يلاعب الكبار الصغار حاليا كما فعل رسولنا الكريم؟ وإن كان فهو قليل.

إنّ الأبناء يمثلون نعمة كبيرة أنعمها الله - جلّ وعلا- على الوالدين، فهم بهجة حياتهم ونشوتهم في الدنيا، لما ينشرونه من بهجة ومتعة في نفوس آبائهم وأمهاتهم، وقد جاء القرآن الحكيم ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا﴾ (25)، تشير الآية الكريمة إلى "المنزلة الكبيرة التي جعلها الله للأبناء في نفوس الآباء والأمهات، وقد قرن ذلك بالمال ذي المنزلة العالية في النفس، وفي الأموال والأولاد كان يتنافس الناس منذ القديم" (26) قال تعالى: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ﴾ (27)

4- في الفن القصصي العربي الحديث:

تخطى قصص الكبار بصور للأطفال، حيث يحتل الطفل موقعا متميزا وأحيانا رئيسا في الرواية والقصة القصيرة، بما يصوّر موقف الطفل في أسرته، وتجربته في المجتمع.

أ- في الرواية: كثيرا ما نجد حضور الطفل في النص الروائي، التي تتخذ من ذكريات الطفولة المنطلق الأساسي، نذكر على سبيل المثال: رواية "الأيام" لطفه

حسين، وبالتحديد في الجزء الأول الذي يحكي عن ذكريات الصبا للأديب الطفل "طه حسين" الأعمى، وما عاناه ولاحظه من فروق بينه وبين إخوته في تصوّر الأشياء وممارستها، "هذا الطّفل القروي الذي أسهمت في تشكيل فكره ووجدانه عناصر عدّة، هي خليط من الخرافة والجهل والأسطورة والخيال الشعبي، ليضفي كل ذلك على صورة الطفل ظلّالا رقيقة من الخيال والخوف من الظلام: ظلام العقل، وظلام العين"⁽²⁸⁾

والجزء الأول يصوّر الطفل "طه حسين" في علاقته بمن حوله وما حوله - الأسرة والمجتمع - تصويرا تحليليا "كان سابع ثلاثة عشر من أبناء أبيه،... كان يحسّ من أمه رحمة ورأفة، وكان يجد من أبيه ليّنا ورفقا، وكان يشعر من إخوته بشيء من الاحتياط في تحدّثهم إليه ومعاملتهم له، ولكنّه كان يجد إلى جانب هذه الرحمة والرأفة من جانب أمّه شيئا من الإهمال أحيانا، ومن الغلظة أحيانا أخرى، وكان يجد إلى جانب هذا اللين والرفق من أبيه شيئا من الإهمال أيضا"⁽²⁹⁾ هنا تبدو مكانة الطفل "طه حسين" بين أسرته، وكيفية معاملته كونه طفلا أعمى "أحسّ أن أمه تأذن لإخوته وأخواته في أشياء تحظرها عليه، و"كان ذلك يحفظه ولكن لم تلبث هذه الحفيظة أن استحالت إلى حزن عميق، ذلك أنّه سمع إخوته يصفون ما لا علم له به فعلم أنّهم يرون ما لا يرى"⁽³⁰⁾

ثمّ ينتقل إلى الحديث عن اللّعب المفضّلة أو بالأحرى المتاحة لمثله: "كان أحبّ اللّعب إليه أن يجمع طائفة من الحديد وينتحي بها زاوية من البيت، فيجمعها ويفرّقها ويقرّع بعضها ببعض عرف أكثر ألوان اللّعب دون أن يأخذ منها بحظ، وانصرافه هذا عن العبث حبّب إليه لونا من ألوان اللّهُو، هو الاستماع إلى القصص والأحاديث، فكان أحبّ شيء إليه أن يستمع إنشاد الشاعر، أو حديث الرجال إلى أبيه والنساء إلى أمّه، ومن هنا تعلّم حسن الاستماع"⁽³¹⁾ ويستمر استحضار الجوّ الطّفولي في الجزء الأول من الأيّام في مواقف أخرى كثيرة ومثيرة.

ومن روايات السيرة الذاتية أيضا رواية "حكايات حارتنا" لنجيب محفوظ، هي مجموعة من الحكايات تدور حول طفولة الكاتب، "حيث يرتدّ الراوي أو نجيب محفوظ المتخفي وراء قناع الراوي ذهنيا إلى مرحلة الطفولة، ويطرح قضايا دينية واجتماعية وإنسانية عامة هي: المرأة والجنس والدين والسياسة والموت والحياة، وحتى يبقى محايدا في طرحه، فإنه يقدمها من خلال عيني طفل"⁽³²⁾

وتتراءى الطفولة الشقيّة البائسة لدى الروائي السوري "حنا مينة" في كثير من رواياته منها رواية "بقايا صور" التي تحمل مناظر أصلية مطابقة لحياة حنا مينة في طفولته وعلاقته بأسرته وبأفراد مجتمعه، باعتبار طفولة الكاتب هي الشعاع الذي يّلمح على ذهنه، فأعاد استحضار هذا الماضي وتجارب طفولته ومغامراتها الشقيّة والسعيدة"⁽³³⁾ وقد رافق هذه الطفولة البائسة حضور البحر "يزداد حب الطفل وشوقه للبحر، خاصة عندما يحسّ بأهميته إذ أصبح حبه له يماثل حبه لأمّه، إنه هنا يشعرا باكتشاف جديد شبيه باكتشاف الطفل للعبة جديدة، ويبقى حضور البحر يحمل معنى التنفيس عن الهموم اليومية للطفل"⁽³⁴⁾

وفي رواية "المستنقع" الجزء الثاني من السيرة الذاتية، يواصل حنا مينة سرد واقعه الطفلي والواقع التاريخي "مقدّما نظرة وموقفا من العالم من خلال رواية الوقائع في حياة ذلك الطفل، لا بوعي طفولي ساذج، وإنما بوعي ناضج يعيد بناء الزمن (...). فالطفولة هنا مجرد وسيلة إبلاغية، ولهذا أتت صورة الطفل نقدية تحليلية، لأنها كانت بعيني رجل وليس بعيني طفل"⁽³⁵⁾.

كما تتجسّد صورة الطفل الشّقي في رواية "مغامرات الطّفّل المتمرّد" لأحمد سفتي، التي يعكس مضمونها بحق عنوان الرواية، وتدور الأحداث كلّها حول هذا الطّفّل الشّقي المتمرّد على تقاليد المجتمع، الذي يهوى المغامرة كثيرا "دعاني يوما أحد أصدقائي من المدرسة القرآنية أن نفر من الجامع والتغيب عن الدرس، فشقّ عليّ الأمر، ولكن رغبة المغامرة تغلّبت عليّ ورافقتة مع أخيه إلى الغابة التي توجد فوق نفق السّكة الحديدية بعد قطع الوادي، فسلكننا الطريق

وتسلقنا إلى الكدية، ثمّ إلى الأماكن الوعرة، ولعبنا مثل القردة على الأغصان والألياف، ثمّ قطفنا الأزهار البرهوشة مثل الأفحوان والبنفسج".⁽³⁶⁾ إنّها صور المغامرة والتمرد التي تطبع حياة الأطفال.

وبالنسبة للرواية الجزائرية الحديثة، فإنّ موضوع الطّفّل أو الطّفولة له مكانة خاصة، وتناول الروائيين الجزائريين للطفولة تجلّى في مظهرين: إمّا بتخصيص روايات كاملة تحمل عناوين ترتبط بالطفولة مباشرة مثل: أطفال العالم الجديد "لآسيا جبار" و"أطفال الأيام الكثيرة" لبنور موهوب، وإمّا أن يكون البطل الرئيسي في الرواية طفلاً، كما يظهر في ثلاثية مُجّد ديب "الدار الكبيرة، الحريق، النّول" التي تدور أحداثها حول حياة صبي اسمه "عمر"، الذي عايش مأساة الثورة ومعاناتها⁽³⁷⁾، وهنا تبدو "اليقظة النفسية والعقلية والعاطفية البطيئة للبطل عمر ترمز إلى ميلاد ضمير جزائري متلهف على الاعتراف به، مصّراً على الحصول على الاعتراف مهما كانت الوسائل".⁽³⁸⁾ ونذكر أيضاً رواية مرزاق بقطاش "طيور في الظهيرة"، التي ترصد يوميات الطّفّل "مراد" مع أقرانه من الأطفال، في المدرسة وفي الحيّ الذي يقطنه أيام الثورة الجزائرية.⁽³⁹⁾

وتتكتّف العودة إلى الطّفولة بقوّة في روايات رشيد بوجدرّة "فالطفولة في رواياته حاضرة أكثر من حضورها عند أي كاتب جزائري آخر".⁽⁴⁰⁾ ومن رواياته: "الحلزون العنيد"، "الرعن"، و"معركة الزقاق" وغيرها.⁽⁴¹⁾

ب - في القصة: اهتمت القصة كذلك ومنذ القديم بموضوع الطّفّل، وإن لم تخصّص عناوين خاصة تتناول الطّفّل مباشرة، بل عن طريق إدراج بعض المواضيع التي تخصّ الطّفّل أو الطّفولة، فهذا الجاحظ مثلاً في "البخلاء" يشير إلى حرص الرجل والمرأة على الطفل "ذكرا وأنثى"، من خلال قصة "مريم الصنّاع"، تقول القصة في حوار بين الزوج والزوجة على لسان شيخ: "...وعظمت أمرها في عين الختن، ورفعت من قدرها عند الأحماء، فقال لها زوجها: أتّى لك هذا يا مريم؟ قالت: هو من عند الله. قال: دعي عنك الجملة وهاتي التفسير، والله ما

كنت ذات مال قديما ولا ورثته حديثا...»⁽⁴²⁾

ومن القصص العربية الحديثة التي احتفت بتصوير الطفولة نجد: المجموعة القصصية "نداء المستقبل" للكاتبة التونسية "فاطمة سليم" في قصة "نادية"، هي طفلة صغيرة مرحة "تحب اللعب مع بنات الجيران في السقيفة أو في الزقاق، تقفز بالحبل، تلعب الغميضة، تمثل الأدوار، تتخيل نفسها ربة دار، تفصل وتخييط وتطهو وترغد. تحب ساحة المدرسة وأركانها الظليلة والمربعات الكبيرة تقفزها مع زميلة لها (...). وتحب حصة الأناشيد والألحان الجميلة".⁽⁴³⁾ ثم تسرد ما تحبه نادية وما تكرهه؛ فهي تحب حصتي الرياضة والتعبير، وتكره حصتي الحساب والتاريخ.⁽⁴⁴⁾ وتنتهي القصة بأن تقرر نادية مغادرة المدرسة للأبد بسبب اتهامها بسرقة نقود إحدى زميلاتها في المدرسة، لأنها كانت آخر من خرج من قاعة الدراسة، ونتيجة فسوة المعلمة والمديرة في تعاملهما معها، وعدم تبرئتها رغم عدم ثبوت إدانتها، "ومن يومها وصمت نادية، وذابت ضحكاتهما وقل نشاطهما، ونفرت منها الصويجات، أينما توجهت نادية تراقصت أمام عينيها مناظر السرقة ولاحقها الهمس والغمز".⁽⁴⁵⁾ وبعد حادثة السرقة كرهت نادية المدرسة والمعلمين، والتلامذة واللعب، وكثر غيابها عن المدرسة، وتراجع تحصيلها الدراسي، وتحطمت معنوياتها، لتقرر في الأخير ترك المدرسة وعدم الرجوع إليها.⁽⁴⁶⁾

ثمّ هناك في "الرحلة الأخرى"، مجموعة قصصية لـ "مختار بوخريص" قصة عنوانها "الطفل والكلب"، تدور وقائعها حول الطفل "أنيس" الذي أحبّ جروه كثيرا، وحين دهسته سيارة تألم لفقدانه، وعاش حالة انطواء واكتئاب، نتيجة الحسرة التي ملأت قلبه بسبب فقدانه كلبه.⁽⁴⁷⁾ فهي تعالج مسألة الرأفة والشفقة على الحيوان.

كذلك نجد قصة "الصديقان" في المجموعة القصصية "حياة قاسية" للكاتب اليمني "شاكر خصباك"، التي تصوّر صداقة طفلين: "حسين وعدنان"، تربطهما صداقة حميمة قوية، إذ أنّ عدنان كان دائما يتبرع بعشائه لحسين، هذا

الأخير الذي كان والده متسلطاً - لا يعمل يأكل صحن الطعام كله ويضرب زوجته - فلجأ حسين إلى العمل في السوق طوال اليوم، جزاء مغادرة أبيه لأبنائه، فترك حسين اللعب مع عدنان وأقرانه في الزقاق، ليعود الأب في نهاية القصة بعد غياب طويل، بصورة مخالفة للأولى، فقد وجد عملاً، وجاء بالمال الوفير، وحمل معه حملاً ذبيحاً، فأعاد بعودته السرور والفرح إلى المنزل، حينها سرّ حسين "وهتف بفرح: سنلعب غداً طول النهار يا عدنان".⁽⁴⁸⁾ هنا نلاحظ مدى تأثير حالة الأب وسلوكه على أبنائه وأسرته، خاصة الابن، وكيف يكون الابن الضحية الأولى لهذه اللامبالاة، وكيف ضحّى حسين بأبسط حقوقه في مرحلة الطفولة، ألا وهو حق اللعب، وذلك من أجل توفير قوت أسرته.

وللقاص السوري "اعتدال رافع" مجموعة قصصية بعنوان "رحيل البجع"، تتعلق بالأطفال، ومنها قصة قصة "وديع والكلب"، تحكي قصة طفل يتيم "وديع"، الخائف من الذهاب إلى المدرسة بسبب كلب كبير يقطع طريقه في كل مرة، وهو "كلب كبير داكن الوبر لاح له عند مفترق الطريق وهو يكشر عن أنيابه ويطلق نباحه الوعيد".⁽⁴⁹⁾

لكن وبفضل تشجيعات أمّه المستمرة استطاع مواجهة الكلب بالحجر "ومنذ تلك اللحظة عرف وديع أن خير وسيلة للدفاع عن النفس هي الهجوم، تبدلت ملامحه واكتسبت مظهرًا جديدًا لا يمت إلى القديم بصلة. رمى الحجر من يده وبصق وتابع طريقه إلى المدرسة".⁽⁵⁰⁾ هو كلب عادي يخشاه الأطفال، ولكن بالشجاعة يزول الخوف، فلقد تحدّى وديع الكلب وغلبه.

وفي القصة المصرية يتكرر نموذج الطفل كذلك، إذ يتطرق القاص "رجب البنا" في مجموعته "ابتسامه صغيرة" إلى عالم الطفل ومغامراته، من ذلك قصة "حكاية عم سلامة" أمّا أعمارهم "كنا صغاراً.. أكبرنا لم يتجاوز العاشرة وكان عم سلامة وحكايته يشغلان عالمنا الصغير، ويحركان في خيالنا أشياء مثيرة".⁽⁵¹⁾

وذاًت يوم حين غاب العم سلامة، قرر أحد الصغار أن يتقلد دور

الراوي، إلا أنّ الأطفال لم يجدوا للقصة المتعة أو اللذة نفسها التي كانوا يجدونها مع العم سلامة، وحين علموا بموت العم أسفوا كثيرا، وهكذا مات نموذج الأبوة. وضمن المجموعة قصة أخرى هي "ليلة عيد"، وفيها يحضر نموذج الطفل الفقير المحروم، الذي يقف بين الناس منكمشا، لا مال له ولا أب، يراقب حركة السوق ليلة العيد، حيث يصطحب الآباء أبناءهم ويشترون لهم الملابس والهدايا أمّا هو فمحروم من ذلك، حينها تصدمه دراجة، فيبكي ويتجمع الناس حوله، ويشفقون عليه بتقديم ورقة مالية له. (52)

الحواشي والهوامش

- 1 مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م، ص560.
- 2 المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1997م، ص467.
- 3 فؤاد أبو حطب، معجم علم التنفس والتربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، 1984م ج1، ص26.
- 4 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط4، 2005م، ص126.
- 5 إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 2000م، ص19.
- 6 ابن منظور، لسان العرب، مج8، ص198.
- 7 سورة الحج، الآية: 5.
- 8 سورة النور، الآية: 59.
- 9 سمير عبد الوهاب أحمد، أدب الأطفال، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006م، ص23.
- 10 إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص18.
- 11 إبراهيم ياسين الخطيب، أحمد مجد الزبادي، صورة الطفولة في التربية الإسلامية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2000م، ص25.
- 12 سورة البقرة، الآية: 233.
- 13 الذي عمره أقل من 18 سنة.
- 14 سورة النساء، الآية: 2.
- 15 مصطفى رجب، أدب الأطفال في تراثنا القديم، الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، العدد22، الجزائر، 2004م، ص82.
- 16 سورة النحل، الآيات: 58-59.
- 17 سورة الشورى، الآيات: 49-50.
- 18 الأصهباني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، بدون سنة، ج1، ص325.
- 19 البخاري، الأدب المفرد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط3، 1989م، ج1، ص129.

- 20 مسند الشهاب، أبو عبد الله القضاعي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986م، ج1، ص389.
- 21 الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق الحسيني، دارالحرمين، القاهرة، 1415هـ، ج6، ص82.
- 22 مُجّد حسن بريغش، أدب الأطفال أهدافه وسماته، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1996م، ص19.
- 23 التّغير: تصغير التّغر، طائر صغير.
- 24 المنذري، مختصر صحيح مسلم، تحقيق: مُجّد ناصر الدين الألباني، قصر الكتاب، البلدة، ط1، 1411هـ، ص368.
- 25 سورة الكهف، الآية: 46.
- 26 حسن ملا عثمان، الطفولة في الإسلام، مكانتها وأسس تربية الطفل، دار المريخ للنشر، الرياض، ط2، 1982م، ص25-26.
- 27 سورة سبأ، الآية: 35.
- 28 طه حسين، الأيام، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، بدون سنة، ج1، ص
- 29 نفس المصدر، ج1، ص16.
- 30 نفس المصدر والصفحة.
- 31 نفس المصدر، ج1، ص19.
- 32 نجيب محفوظ، المؤلفات الكاملة، حكايات حارتنا، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ص
- 33 حنا مينة، بقايا صور، دار الآداب، بيروت، ط4، 1984م، ص
- 34 باية خوجة، صورة البحر في روايات حنا مينة، دراسة أدبية ومقارنة، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 1995-1996م، ص60.
- 35 نفس المصدر، ص61.
- 36 أحمد سفتي، مغامرات الطفل المتمرد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص60.
- 37 مُجّد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: فارس غضوب، منشورات anep، الجزائر، 2007م؛ والحريق، ترجمة: فارس غضوب، منشورات anep، الجزائر، 2007م، ص؛ والنّول، ثلاثية مُجّد ديب، ترجمة: سامي الدروبي، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1981م، ص

- 38 أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007م، ص98.
- 39 مرزاق بقطاش، طيور في الظهيرة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص
- 40 بوعلي كحال، الطفولة في روايات رشيد بوجدر، بحث مقدّم لنيل شهادة الماجستير، جامعة تيزي وزو، 1991-1992م، ص51.
- 41 رشيد بوجدر، الحلازون العنيد، ترجمة: هشام القروي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م؛ والرعن، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص ؛ ومعركة الرقاق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص
- 42 الجاحظ، البخلاء، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980م، ص49.
- 43 فاطمة سليم، نداء المستقبل، مجموعة قصصية، دار بوسلامة، للطباعة والنشر، تونس، 1978م، ص89.
- 44 المصدر نفسه، ص91.
- 45 المصدر نفسه، ص95.
- 46 فاطمة سليم، نداء المستقبل، ص96.
- 47 مختار بوخريص، الرحلة الأخرى، مجموعة قصصية، دار سحر للنشر، تونس، ط1، 2007م، ص
- 48 شاكر خصباك، حياة قاسية، مجموعة قصص، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء الجمهورية اليمنية، ط4، 1996م، ص48.
- 49 اعتدال رافع، رحيل البجع، قصص عربية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط1، 1998م، ص92.
- 50 اعتدال رافع، رحيل البجع، ص100.
- 51 رجب البناء، ابتسامة صغيرة، مكتبة الأسرة، دب، 1997م، ص47.
- 52 المصدر نفسه، ص87.